فريق التفريغ بموقع الطريق إلى الله
يـــقـــدم

من سلسلة: "علمتني آية"

إذ حضر يعقوب الموت

(باللهجة المصرية)

لفضيلة الشيخ: عمرو الشرقاوي

رابط المادة: https://way2allah.com/khotab-item-168409.htm

الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب هدًى وذكرى لأولي الألباب، وأودعه من العجائب العَجب العُجاب، وجعله حاليًّا بالأحرف السبعة وكمال الشِّرعة وفصل الخطاب، والصّلاة والسّلام على النّبي الأوّاب مُبلّغ الكتاب وعلى الآل والأصحاب صلاةً تدوم إلى يوم الحساب ويكون لنا بها عند الله زُلفة وحُسن مآب، وبعد:

يقول الله–سبحانه وتعالى–: "وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ * إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ * وَوَصَّىٰ بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ * أَمْ كُنتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِن بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَٰهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ * تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ" البقرة١٣٠:١٣٤

تربية الأولاد عند الأنبياء

هذه الآيات تُظهر لنا صورةً مُشرقةً من صوَر تربية الأنبيّاء لأبنائهم، هذه الصورة هي صورة النّبي الكريم على الله – سبحانه وتعالى– إبراهيم –عليه الصّلاة والسّلام–، هذا النّبي الكريم إبراهيم –عليه الصّلاة والسّلام– كان مهمومًا بأن يُصلح الله –عزّ وجل– ذُرّيته من بعده، كان إبراهيم –عليه الصّلاة والسّلام– مهموم بهذا الهم؛ ولذلك دعا إبراهيم – عليه الصّلاة والسّلام– الله –سبحانه وتعالى– هذا الدعاء الخاص "رَبَّنَا إِنِّيَ أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ" إبراهيم:٣٧، يعني شوف سيّدنا إبراهيم –عليه الصّلاة والسّلام– ماذا يقول؟!

يقول: "رَّبَّنَا إِنِّيَ أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا" إبراهيم:٣٧، إنّما فعلت ذلك ليُقيموا الصّلاة، "لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ" إبراهيم:٣٧، وتأتي في المرتبة الثانية "وَارْزُقْهُم مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ" إبراهيم:٣٧، يعني شوف سيّدنا إبراهيم –عليه الصّلاة والسّلام– وكيف أن هذا الدّين، وأن الإيمان بالله ربّ العالمين سيطر على تفكيره وحياته كلّها، قال: "رَّبَّنَا إِنِّيَ أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ" إبراهيم:٣٧، يعني لا فيه ميّة، ولا فيه نبات، وإنّما قال" "غَيْرِ ذِي زَرْعٍ" إبراهيم:٣٧، ولم يقل ليس فيه نبات؛ لأن من لازم وجود النّبات؛ وجود الزّرع، فهو نبّه إنه مفيش أكل يعني لا شيئًا يأكلوه في هذا الوادي؛ فبالتالي الأوْلى إن هو ما يكونش فيه ميّة أصلًا، ومع ذلك ما قالش وارزقهم من الثمرات ليقيموا الصلاة.

لأ، قال: "رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي" إبراهيم:٣٧، لاحظ هذا التّرتيب في الدعاء، "رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُم مِّنَ الثَّمَرَاتِ" إبراهيم:٣٧، لماذا؟ لكي يعيشوا الدنيا؟! لأ، "لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ" إبراهيم:٣٧

يحمل همَّ العبادة

"رَبَّنَا إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِي وَمَا نُعْلِنُ وَمَا يَخْفَىٰ عَلَى اللَّهِ مِن شَيْءٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ * الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ * رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِن ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ" إبراهيم٣٨: ٤٠

كان هذا هو هَم إبراهيم –عليه الصّلاة والسّلام– أن يحمل أولاده الدّين من بعده، أن يحمل أولاد إبراهيم –عليه الصّلاة والسّلام– الدّين من بعد إبراهيم، "رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِن ذُرِّيَّتِي" إبراهيم: ٤٠

مكافأة حمل هم العبادة

ولذلك أخرج الله –عزّ وجل– من ذريته إسماعيل –صلوات الله وسلامه عليه–، قال الله –عزّ وجل– عنه: "وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا * وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا" مريم٥٤: ٥٥، وأخرج الله –تعالى– نبيّنا –صلّى الله عليه وسلّم–، الذي قال الله –عزّ وجل– له: "وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَّحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ" طه: ١٣٢، وقال: –صلّى الله عليه وآله وسلّم–: "جُعِلَتْ قُرَّةُ عَيني في الصَّلاةِ." صححه الألباني

ذريّة على الطريق

وكان –صلّى الله عليه وسلّم– يقول: يا بلالُ، أرِحْنا بالصلاةِ. صححه شعيب الأرناؤوط. هذه ذريّة إبراهيم –صلوات الله وسلامه عليه– الذي كان مهمومًا بأن تحمل هذه الذريّة دين الله –سبحانه وتعالى–، بأن تُبلّغ دين الله –عزّ وجل–، وأخرج الله –عزّ وجل– من ذريّته إسحاق ويعقوب اللذين ذكر الله –عزّ وجل– عنهما في هذه الآية الكريمة، قال الله –عزّ وجل–: "وَوَصَّىٰ بِهَا" البقرة: ١٣٢، يعني بالإيمان، وباليقين بالله –سبحانه وتعالى–، وبالإسلام لله –عزّ وجل–، "وَوَصَّىٰ بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ" البقرة: ١٣٢، وصّى بنيه أيضا؛ "يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ" البقرة: ١٣٢

عش المشهد

ثم قال الله –عزّ وجل–، وهو –سبحانه وتعالى– يُوضّح لنا تلك السورة، يجعل هذه الصورة ترتسم في أذهاننا، إن احنا نعيش هذا الواقع الذي عاشه يعقوب –صلوات الله وسلامه عليه–، أن نكون في تلك اللحظة التي حضر الموت فيها يعقوب –صلوات الله وسلامه عليه–، قال الله –عزّ وجل–: "أَمْ كُنتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ" البقرة: ١٣٣،

يعني خلاص سيّدنا يعقوب –عليه الصّلاة والسّلام– في اللحظات الأخيرة من حياته، وفي تلك اللحظات يستحضر الإنسان أهم شيء في حياته، أهم حاجة حصلت في حياة الإنسان، الإنسان يستحضرها في اللحظات الأخيرة في الموت، تجد عند الموت من يوصي بأطيانه وعقاراته، تجد عند الموت من يتكلّم باسم من يتعلّق به في الدنيا، بحسب تعلّقه الذي كان في الدنيا؛ يرِد عليه هذا التعلّق عند اللحظات الأخيرة. فربّنا –سبحانه وتعالى– يُصوّر لنا تلك اللحظات الأخيرة لنبيّ كريم ابن نبيّ كريم ابن نبيّ كريم؛ يعقوب بن إبراهيم بن إسحاق –صلوات الله وسلامه عليهم جميعًا–، فيقول الله –عزّ وجل– أيّها الناس استحضروا ذلك المشهد، عيشوا ذلك الواقع، يوم أن كان يعقوب –عليه الصّلاة والسّلام– في سياقة الموت وحول سيّدنا يعقوب أولاد يعقوب –صلوات الله وسلامه عليه– هؤلاء الأولاد مُتحلّقين بأبيهم –صلوات الله وسلامه عليه– وهو يجود بنفسه يموت، فماذا كانت وصيّته لهم؟

الوصيّة الأخيرة

قال الله –تعالى–: "أَمْ كُنتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِن بَعْدِي" البقرة:١٣٣، هذا هو، هذا همْ يعقوب –عليه الصّلاة والسّلام–، هذا هو كان الشُّغل الشّاغل ليعقوب –عليه الصّلاة والسّلام– الشغل الشّاغل لسيّدنا يعقوب، إن أولاده ها يعبدوا إيه من بعده؟

سلسلة مباركة

"قَالُوا نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ" البقرة:١٣٣، وطبعًا إسماعيل –عليه السّلام– هو عمّ يعقوب لكنّه ينتظم في تلك السلسلة المُباركة التي خلّفها إبراهيم –صلوات الله وسلامه عليه– فيعقوب –صلوات الله وسلامه عليه– يحمل هذا الهم الذي ورّثه إبراهيم –صلوات الله وسلامه عليه– لهذه السلسلة النّورانيّة التي تنتظم أولاده جميعًا، تنتظم إسماعيل؛ الابن الأكبر، وتنتظم إسحاق؛ الابن الأصغر، وتنتظم الحفيد الذي هو يعقوب الذي بُشّر به إبراهيم، يعني سيّدنا إبراهيم –عليه الصّلاة والسّلام– بُشّر بإسحاق ومن وراء إسحاق يعقوب، فسيّدنا إبراهيم حضر تربيّة يعقوب، هادي تربيّة إبراهيم –عليه الصّلاة والسّلام–، تربيّته لإسماعيل أثمرت عبد صادق الوعد، رسولًا نبيًّا، "يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا" مريم:٥٥، أثمرت إسحاق ويعقوب اللذين أوصيا أولادهما من بعدهما بحمل همّ الدّين والحفاظ عليه.

قال الله –تعالى–: "قَالُوا نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَٰهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ" البقرة:١٣٣، خرج من هؤلاء الأبناء، أبناء يعقوب –عليه الصّلاة والسّلام– يوسف الذي انتظم في هذه السلسلة، وهو الكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم، يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم –صلوات الله وسلامه عليهم جميعا– حين كان في محبسه وفي سجنه، كان أيضًا يشغله هم؛ يشغله هم أن يوصل تلك الرسالة التي حمّله الله –عزّ وجل– إيّاها لصاحبيه في السجن، "يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ * مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءً سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَاؤُكُم مَّا أَنزَلَ اللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ" يوسف٣٩: ٤٠، هذه يجهر بها يوسف –صلوات الله وسلامه

عليه– يقول: أنا تركت ملّة قوم لا يؤمنون بالله، لا يؤمنون بالآخرة، "وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ مَا كَانَ لَنَا أَن نُّشْرِكَ بِاللَّهِ مِن شَيْءٍ ذَٰلِكَ مِن فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ" يوسف:٣٨

احرص على إيمان ذريّتك

فلابدّ أن تكون حريصًا أن توصل هذا الإيمان لذرّيّتك، ولأولادك، وإن كنت عالمًا أن ثُورّت هذا الإيمان وهذا الدّين لتلاميذك وأصحابك، أن تكون مهمومًا بهمّ هذه الرّسالة، بهمّ أن يصل الدّين إلى النّاس جميعًا، أن يصل دين ربّ العالمين –سبحانه وتعالى– إلى خلق الله –عزّ وجل–، هذه صورة مُشرقة يُوضّحها ربّ العالمين –سبحانه وتعالى– في هذه الآيات التي تحمل معاني جليلة.

إبراهيم يوصي إسماعيل ويوصي إسحاق ويوصي يعقوب، يعقوب يتحمّل هذا الهم فيوصي –صلوات الله وسلامه عليهم– بنيه من بعده، "مَا تَعْبُدُونَ" البقرة:١٣٣، "قَالُوا نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ" البقرة:١٣٣

يتحمّل هذا الهم يوسف –صلوات الله وسلامه عليه–، يتحمّله إسماعيل، يتحمّله من ذرّيّة إبراهيم محمّد –صلوات الله وسلامه عليه–، يتحمّله عن محمّد العلماء ورثة الأنبيّاء، ويتحمّله عن العلماء أبناءهم وتلاميذهم إلام تكن الأبوّة، أبوّة نسبيّة فأبوّتهم أبوّة روحيّة، فلذلك لا بدّ أن تكون حريصًا أن يرث أبناءك من بعدك، أن يرثوا هذا الدّين، أن يتحمّلوا همّ تلك الرّسالة، وتذكّروا قول الله –سبحانه وتعالى–: "وَوَصَّىٰ بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ" البقرة:١٣٢

نسأل الله–تعالى–أن يُحيينا على الإسلام وأن يميتنا على الإسلام، وصلّى الله على نبيّنا محمد وآله

والحمد لله ربّ العالمين